أوصف لكل أمر من عامر بن شراحيل الشعبيّ[1].

وقد عُرف بين رجال الحديث جماعة من أهل العلم ممن عرفوا بتضلعهم من العربية، ومن هؤلاء حماد بن سلمة الذي قال فيه اليزيدي:

يـا طـالب النحـو ألا فـابكِـهِ بـعـد أبـي عـمـرٍو وحـمّـاد

وقد حكى السيرافي أن حمّاداً قال: «من لَحَن في حديثي فقد كذب عليّ»، وأشار السيرافي إلى خبره مع سيبويه، فقد ورد في أخبار سيبويه: أنه يستملي على حمّاد، فقال حمّاد يوماً: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء». قال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال حمّاد: لحنت يا سيبويه، فقال سيبويه: لا جَرَم لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً[2].

قلت: كان أهل الحديث من حملة العلم وحسبك أن تعرف أن الخليل بن أحمد قد أخذ عن أيوب السختياني، وهو من المشاهير بين علماء الحديث، وكان الحسن البصري يقول فيه: «أيوب سيّد شباب أهل البصرة»[3].

على أن المتأخرين من النحويين قد استشهدوا بالحديث ومنهم ابن مالك وأبو حيان، فقد بدا لهم أن الأوائل قد اشتطوا وتجاوزوا العلم.

ولا أدري كيف يتخذ النحويون لغة الشعر مادتهم في الاستشهاد بحيث كان للشعر الغلبة على عامة الشواهد اللغوية والنحوية، ولم يأخذوا بالحديث؟ ومن المعلوم أن لغة الشعر لغة خاصة للوزن والقافية فيها سلطان، ومن هنا جاز للشاعر ما لا يجوز للناثر، فكيف تكون مادة تقوم عليها قواعد النحو؟.

---

(١) البلدان (لابن الفقيه) الطبعة الأوربية ص ١٧١.

(٢) أخبار النحويين البصريين ص ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) البيان والتبيين ج ٣ هامش ص ١٥٤.